الإبداع والثقافة الإنسانية في المناظرة بين الشيخ محمد الامين الكانمي والسلطان محمد بلُو كتاب إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور نموذجا

Email: suahmad.ara@buk.edu.ng

+2348027324088

أ د : شيخ عثمان أحمد

محاضر بقسم اللغة العربية

جامعة بايرو كنو نيجيريا

الملخص

المناظرة فن أصيل في الثقافة الإنسانية, وقد أبدى حوارا ومناقشات حول القضايا الجدلية مع زميله الإنساني منذ عهده بهذا الكون. وقد أرسى القرآن الكريم أركان المناظرة ودعائمها مؤكدا أن المناظرة هي أرقى سبل الإقناع , كما قدم نموذجا رائعة من الحوار بين الأنبياء وأقوامهم , وبين الله سبحانه وتعالى وبين ملائكته . ثم تزايد في العصر الأموي والعباسي . ولاشك أن المناظرة ضرب من ضروب الأدب , وكثيرا ما يعتمد عليه العلماء والأدباء في إبداء ما يرمون اليه من المقاصد والأغراض , إذ بها تتحقق المطلوب بالدليل البرهاني أو الإقناع المنطقي و الفلسفي. وكانت المناظرة في الأصل تجري أمام الأمراء والملوك أو في المساجد , ثم تطورت فشملت ما يكتب في الكتب والرسائل , كما رأينا ذلك في كتب الجاحظ ورسائله. فالشيخ محمد الأمين الكانمي والسلطان محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي (النيجيريين) هما اللذان أخرجا هذا الفن (المناظرة) من الفكرة الى الواقع , ومن النظرية الضيقة الى التطبيق الشامل. وهذا الإخراج – لاشك – أنه يؤكد من الناحية الأدبية والثقافة الإنسانية, أنه صدى للبيئة الأدبية التي تربى على ذوقها الشيخان . تسعى هذه الورقة إلى إبراز بعضا من هذه المناظرة – لتكون نموذجا – لكشف ما فيها من الجمال الفني والإبداعي لدى هؤلائ الفطاحلة النيجيريين. ثم معرفة مدى موافقتها أو مخالفتها من حيث الضوابط والشروط المتعلقة بالمناظرة. وقد وضعت الورقة خطتها على النحو التالي :- المقدمة , الإ سلام في نيجيريا , ترجمة الشيخين, مفهوم المناظرة, سبب المناظرة بين الشيخين , ثم دراسة أدبية تطبيقية .

المقدمة

الحمد لله ذي النعم الكثيرة والآلاء العظيمة الذي وهب الإنسان العقل ليتفكر ويتدبر وأرشده بالدليل البرهاني والعقلي على وحدانيته . والصلاة والسلام على نبي الرحمة , صاحب الحجج الدامغة والطريقة الواضحة , ليلها كنهارها , وعلى آله وصحبه هداة مهتدين ثابتين على الحق كثبات الجبال الراسيات .

اما بعد : يأتي وراء اختيار هذا الموضوع دافع قوي حينما كان الباحث يقرأ كتابا بعنوان (إمام أحمد بين حنبل) لعبد المنعم الهاشمي , فرأى ما جرى بين الإمام وبين بعض العلماء من المناظرات المختلفة . فهيأ هذا رغبة الباحث في التتبع ما جرى بين الشيخين – الكاتبي ومحمد بللو - في هذا الشأن – وقد سبق عن قرأ ما بينهما من الحوار في كتاب إنفاق الميسور - .

ولعل أهمية البحث تتكون من إبراز نوع من أنواع الأدب العربي النيجيري من حيز العدم الى حيز الوجود تطبيقا وتحليلا , وحفظا وتفاخرا بتراث أجدادنا ذلك التراث الذي يترقى بثقافتنا إعطاء وإمدادا لتقدم الإنساني .كما أن هدف الباحث في هذه المحاولة معرفة جمالية النص المدروس من حيث المضمون والشكل والشروط والضوابط المتعلقة بالمناظرة . وتتكيف إشكالية البحث عن : لماذا هذا النوع ؟ وما الذي أدى اليه ؟ وهل اتصف بالقيم الفنية ؟ وهل الشيخان وافقا أو خالفا شروط هذا الفن ؟ . وجعل الباحث كتاب إنفاق الميسور ميدان دراسته, مستخدما المنهج الوصفي لدراسته التطبيقية . مستعينا بالله سبحانه وتعالى وهو المستعان وعليه التكلان ولاحول ولاقوة الا بالله .

الإسلام في نيجيريا :-

يعتبر شمال نيجيريا جزء كبير من بلاد التكرور , ومنطقة مشهورة في تاريخها بالأصالة والتقدم في الدين والثقافة الإسلامية , وإن أول دولة قامت في هذه المنطقة هي إمبراطورية كانم – برنو , وكانت أكبر دولة يعرفها تلريخ غرب إفريقيا – في ذلك الوقت – على الإطلاق .1

وقد نشأت هذه االمملكة قرب منطقة كوار التي وصل اليها عقبة بن نافع الصحابي الجليل رضي الله عنه , في زحفه لنشر الدين الإسلامي في القارة الإفريقية 2وأصبحت هذه المملكة فيما بعد إمبراطورية إسلامية قوية , شملت أرض السودان الأوسط والغربي , والتي دامت حوالي تسعة قرون .3

وتقول المصادر المحلية بأن البرابرة هم حملة الثقافة الإسلامية الأولى من شمال إفريقيا الى غربها , و " أن نفوذ الإسلام و صل الى منطقة كاني برنو من طرابلس ومنطقة كَوَارَا في القرن السابع الميلادي . 4

ويقول الدكتور علي أبوبكر بأن دخول الإسلام الى منطقة غرب إفريقيا " ..... إنما تسرب بواسطة جسور , وهذه الجسور هي الدول الإسلامية التي قامت في المنطقة المجاورة لبحيرة تشاد ". 5 وفي القرن التاسع عشر الميلادي قامت دولة إسلامية أخرى قوية في إماراتها الداخلية والخارجية , وهي دولة صكتو الإسلامية تحت قيادة مؤسسها الشيخ عثمان بن فودي. 6

ترجمة الشيخين :-

أولا :- الشيخ محمد الأمين الكانمي , ولد في فَزَانَ , وأمه عربية من طرابلس , وأبوه من الكانمبو , وكان سفيرا لمملكة كانم في مصر , وسافر محمد الأمين مع والده الي مكة , فتوفي أبوه فيها , لكن محمد الأمين مكث فيها , وتعلم العلوم , ثم رجع الى كانم كداعية , " .... وكان من الأعلام , ولم يعرف له تأليف غير قصيدة واحدة في التوسل بالأسماء الله الحسنى , وأولها :

أيا طيب الأسماء يا من هو الله ومن لايسمى ذلك الإسم الا هو " 7 .

عارض الكانمي ابن فودي في جهاده برسائل عديدة , وقام بالدفاع عن برنو حتى استردها من جيوش ابن فودي , فأصبح بعد ذلك عظيما على أرض برنو وكانم . توفي 1881 م . 8

ثانيا :- محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي :-

ولد محمد بلُو بن عثمان بن فودي سنة 1779 وتوفي سنة 1837 م , وأخذ مباديء القراءة والقرآن الكريم عند والده , كما قرأ التفسير وأصول الدين والحديث وعلم الحقيقة عنده .9 ثم انتقل إلى عمه عبد الله بن فودي حيث واصل التعلم , ثم عكف على المطالعة والقراءة. وله مؤلفات منها :-

-إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور

-كف الإخوان عن إتباع خطوات الشيطان

-شفاء الأسقام في ذكر مدار الأحكام وغير ذلك .

وله أشعار جمعها الوزير جنيد في ديوان سماه إفادة الطالبين.

أسباب المناظرة بين الشيخين :-

من أهم ما ادعى إلى المناظرة بين الشيخين يرجع إلى :-

- سقوط عاصمة أمير يُنفَى - أَلْقَاضَاوَا - .

- الصراع بين برنو وبين أتباع الشيخ عثمان بن فودي في قضية الجهاد .

- مساعدة الشيخ محمد الكانمي لأمير برنو بقتال جماعة الشيخ عثمان .

أوردت الثقافة العربية في نيجيريا صورة واضحة عن اضطرابات والذعر اللذان وقعا في نفوس أمراء بلاد هوسا بعد سقوط عاصمة ألقاضاوا - وهي أكبر مملكة في منطقة هوسا آن ذاك - على يد جيوش المجاهدين ,الشيء الذي أجبرهم على طلب المساعدة من قبل أمير برنو , والذي هو أيضا طلب المساعدة من الشيخ محمد الأمين عندما آلت عليه الأمور , وخرجت عن سيطرته , " ..... لقد تكررت عدة غارات لفتح هذه العاصمة – أَلْقَاضَاوَا – التي شنها أتباع الشيخ عثمان عليها , وأخيرا استطاع جيش المسلمين اقتحام سور المدينة والإندفاع فيها , فسيطروا على جميع أنحاءها , مما أدى الى سقوط مملكة عظيمة قوية في انحاء بلاد هوسا , وأثار خبر هذا الإستيلاء ذعرا شديدا في اواسط أمراء هوسا جميعا , أدى الى زيادة إضعاف روحهم المعنوية , فتزعزعت ثقتهم بأنفسهم , وذوت آمالهم , وأيقنوا إن مصير يُنفَى - أمير القاضاوا – نذير بمصيرهم, إما على يد الشيخ عثمان أو على أتباعه , إن عاجلا أو آجلا "10

وبعد وصول خبر استيلاء المسلمين على هذه العاصمة , أحس كل من أمير كَنَّو ودَورَا , اللذان كانا على حدود هذه المملكة , بأنه مهدد في عقر داره , وأنه لاعاصم اليوم من أمر الله الا من رحم , " ,,,, بادر كل واحد منهما بالكتابة إلى سلطان برنو يستمده على هؤلاء الغزاة البواسل , وقد كان كل واحد منها يدين لسطان برنو بالولاء , ويؤدي له جزية سنوية مقدارها مائة رقيق , فكان من حق كل واحد منهما أن يلجأ اليه إذا ما آلمت به ملمات كهذه , ولكن برنو مملكة إسلامية قديمة العهد به , فهل يلبي سلطانها المسلم طلب الأميرين ؟ - الوثنيين – فيرميه المسلمون بمناصرة الوثنيين على المسلمين , أم يرفض الطلب , فيخُيب آمالها , وينجم عنه تقلص نفوذه عن مملكتيها ؟ " 11.

فأمام هذا الأمير مشكلة سياسية بقدر ما هي دينية , فأمامه أمران لامفر من أحدهما وأخيرا اختار السياسة , فإذا هو يأمر بعض ولاته بإعداد جيشين وتنفيذهما الى الأميرين الوثنيين . 12

وما عن وصل هذا الخبر الى أتباع الشيخ عثمان حتى قاموا برد فعل سريع , مما أتاح لهم الفرصة أن يختلوا حتى عاصمة برنو , فهرب سلطانها الى كانم . " ..... وبعد هجوم الفلانة على برنو انسخب ملكها الى كانم حيث سمع بوجود شيخ كانماوي في كانم يساوي قدر الشيخ عثمان في العلم , ذهب اليه ليساندوه . هكذا بدأ تاريخ دخول الشيخ محمد الأمين الكانمي الى مملكة برنو " . 13

جهز الكانمي جيشا جرارا هاجموا على أتباع الشيخ عثمان , وطردهم بعد أن قتل منهم عددا غير قليل , وبعد هذا الإنتصار والإستقرار , بدأ الكانمي يراسل الشيخ عثمان برسائل متعددت يطالبه بالدليل في سبب قيامه بهذا الجهاد .

ومن هنا بدأ اختلاف بينهما مما أدى الى وجود هذه المناظرات من خلال تبادل الرسائل .

مفهوم المناظرة المعجمي والإصطلاحي :-

المناظرة لغة من النظير أو من النظر بالبصيرة , وتأتي على معنى المجادل المحاج , ويقال ناظر فلانا : صار نظيرا له , وناظر فلانا باحثه وباراه في المجادلة , وناظر الشيء بالشيء جعله نظيرا له . فالمناظرة مأخوذة من النظير أو من النظر بالبصيرة ,ونظر في الشيء أى أبصره.14

وجاء في القاموس العربية المعاصرة أن المناظرة " ... حوار وجدال علمي يقوم أطرافه بالتحاور حول قضية فيها إشكالية معينة ,ويكون هناك طرف مؤيد , وطرف آخر معارض " . 15

أما معناها الإصطلاحي , فقد عرفها الآمدي بأنها " تردد الكلام بين الشخصين يقصد كل منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه , ليظهر الحق . " 16 وفي تعريف آخر " حوار بين شخصين أو فريقين يسعى كل منهما إلى إعلاء وجهة نظره حول موضوع معين والدفاع عنها بشتى الوسائل العلمية والمنطقية , واستخدام الأدلة والبراهين على تنوعها محاولا تفنيد رأي الطرف الآخر , وبيان الحجج الداعية للمحافظة عليها أو عدم قبولها " .17

دراسة تطبيقية لنماذج مختارة :-

توطئة :-

جاء نص الرسائل المتبادلة بين الشيخين في كتاب إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور , لأمير المؤمنين محمد بللو , وهي تحمل مناظرات فقهية وأخرى سياسية , والتي كانت من المنظور الأدبي لاتخرج عن كونها صدى للبيئة الأدبية التي تربى على ذوقها الشيخان على يد علماءهم . فأخرجا هذا النوع من النظرية الضيقة إلى الواقع والتطبيق الشامل . وقد ذكر ابن خلدون فائدة المناظرة بقوله " وأما الخلافيات فعلم أن هذا الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين , بإختلاف مداركهم وأنظارهم , خلاف لابد من وقوعه , واتسع ذلك في الملة اتساعا عظيما , ... وهو لعمري علم جليل الفائدة في معرفة مآخذ الأئمة وأدلتهم , ومران المطالعين له على الإستدلال فيما يرومون الإستدلال عليه . "18

يحتاج المناظر إلى العمق والتوسع في العلوم الشرعية والآخرى اللغوية . فمصادر المناظرة بين الشيخين هو كتاب الله تعالى والسنة النبوية , مع الإستشهاد بأقوال العلماء والشيوخ في القضايا الفقهية . وقد بلغت عدد الرسائل المتبادلة بينهما – حسب ما كان في كتاب إنفاق الميسور – تسعة رسائل ما بين المطولة والمتوسطة , 19

دراسة تطبيقية :-

الإفتتاحية :-

الإفتتاحية صنو المطلع في القصيدة العربية , فكما طالب النقاد الشاعر بضوابط وشرائط في مطلع القصيدة فكذلك أوجبوا على الناثر قيودا ولزوما ليتبعها في إفتتاحيته , فإذا كان الإبتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استماعه , فإن خير الكلام ما دل بعضه على بعض, فينبغي على الناثر " أن يجعل مطلع الكلام من الشعر والخطب والرسائل دالا على المعنى المقصود بذلك الشعر أو تلك الخطبة أو الرسائل " ".... وإن كان فتحا ففتحا , وإن كان هناء فهناء , أو كان عزاء فعزاء ,وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني , وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد به , ولِمَ هذا النوع ؟ ". 20

هذا ما سماه العلماء ببراعة الإستهلال , والذي يطالب الناثر أن يبتدأ في فاتحة الكتاب أو الرسالة بكلام مخترع يكون دالا على كافة الرسالة, يقول ابن الأثير " إن من محاسن الإبتداءات والإفتتاحيات أن يفتتح الكتاب بآية من القرآن , أو بخبر من الأخبار النبوية , أوبيت من الشعر , ثم يبني الكتاب عليه ". 21

يقول الكانمي في افتتاحية رسالته الأولى والتي أرسها إلى الشيخ عثمان " الحمد لله فاتح أبواب الهداية ,ومانح أسباب السعادة, والصلاة والسلام على من بعث بالحنفية السحة 22 , وعلى آله وأصحابه الذين هدوا وأوضحوا شرعه .

من المتعفر بتراب الذنو ب المتدثر بجلباب العيوب العبد الذليل , محمدالأمين بن محمد الكانمي إلى العلماء الفلاتين ورؤسائهم .

السلام على من اتبع الهدى .

أما بعد : " 23

هكذا بدأت الرسالة بالحمدلة والصلصلة , وإيذانا على هدفها الأساسي , وهوأمر يتعلق بالهداية والسداد والسعادة على الحنيفيية التي إستأثرالله بها. كما تفيد من وراء حجاب رمي طرف الخصم بالإنحراف والإنزلاق على الحنيفية السمحة مما أدى بهم إلى قتال الأبرياء , يعتبر هذا من براعة الإستهلال .

فإذا أن منوط الرسالة وما أدى إلى كتابتها هو هجوم جماعة الشيخ عثمان على أرض برنو التابعة لمملكة كانم بدوى الجهاد الإسلامي . ولعل الكانمي لجأ الى هذه الإفتتاحية إشعارا على أن من يدعي الجهاد ليفتح عينيه طالبا الهداية والسعادة – أولا – من الله تعالى .

ومما زاد هذه الإفتتاحية رونقا وجمالا إقتباسها – السلام على من اتبع الهدى – بعد الصلاة والسلام إفصاحا لعقيدة التمسك والإقتداء في الحل والإرتحال , فهي سجية ينبغي الإشارة اليها ,ولعلها تكون إقحاما للمتمرد الخصم على أحكام الشريعة الغراء , إذ إن مقتضى الحال أوجب عليه مراعاة هذا السياق القوي الواعظ .

فلا شك أن الشيخ الكانمي ممن أوتي مهارة لغوية حتى لايصعب عليه الانتقال من المقدمة إلى صلب الموضوع , فقال (أما بعد) ايحاء بالإنتقال وإشعارا بأن ما يأتي هو منوط الكلام ومحور الحديث ,

أجاب محمد بلّو – نيابة عن شيخه وأبيه – لهذه الرسالة بهذا النص (بسم الله الرحمن الرحيم , الحمد لله ذي الحجة البالغة , والكلم النافذة , الصادعة بالحق, الماحقة للباطل الدامغة, وأشهد أن لااله الا الله وحده لاشريك له, أمر بالمعروف , ونهى عن المنكر والبغي, شهادة قاطعة, شموسها بازغة, وأشهد أن محمدا عبده ورسله, أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله, وينصره على ذوي الأهواء الزائغة, صلى الله عليه وسلم, وعلى آله وأصحابه ذوي العلم البارعة النافعة.

من العبد الفقير لرحمة ربه القدير, محمد بلّ نجل أمير المؤمنين عثمان بن فودي, وفّقه الله لرضاهٍ وأذاقه حلاوة تقواه.

أما بعد : " 24

لاتقل فصاحة هذه الإفتتاحية عنٍ السابقةٍ عنها في منظور البلاغي والدلالي, فقد نحت نحو الرسالة الأولى في جميع تقنية الأسلوب البياني, ولخصت أفكارها من معجم القرآن الشامل, والحديث النبوي, وأصدرت قرارا أن الحجة البالغة الماحقة للباطل هي الفاصلة بين أهل الحق والهداية, وأهل الأهواء الزائقةٍ.

وقد آثار الناثر هذه الإفتتاحية لمناسبة الموضوع, ولكل مقام مقال, والجزاء من جنس العمل. ولاشك -كذلك – أنها أكدت عقيدة التمسك لصاحبها, والعمل بكل ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يقول "كل أمر ذي بال لم يبدأ ببسم الله فهو أبتر ",كما سلك مسلك علماء غرب إفريقيا في بداية رسائلهم.

الألفاظ والجمل والأسلوب :-

نظر النقاد الى لغة النثر الفني من خلال مستويين, مستوى الألفاظ , ومستوى التركيب, فنادوا بأهمية تخير الألفاظ لتكون معبرة عن المعنى المراد منها, ولتكون في الوقت نفسه ذات صفات جمالية تحقق الإمتاع للمتلقي, ولاتكون وحشية متوعرة , ولا مبتذلة بين العامة, ولا تكون قد عبر بها عن معنى يكره ذكره .25

على ضوء هذه الضوابط والشروط جاءت ألفاظ هاتين الرسالتين ملبيتين, وتلتزمتا الوقار , وتتخلى بالأخوة الإسلامية, فختارتا الفاظا قد لاتناسب غيرها في مثل هذا المقام, لما تؤديه من معنى لطيف, وإيحاء نفسي تستحق الجودة من مثل (الحجة البالغة, الهداية, السعادة, الحنيفية, السلام, سنة, براءة, المناظرة, مدافعين.) وفي مقابلة هذه الألفاظ الإيجابية تجد السلبية من مثل (البغي, الأهواء, الزائغة, التشنيع, التعصب , المخالفة, مغالطات, الفتن, معاند, جدلا, المنكر.)

فمثل هذه الألفاظ تترك آثرا نفسيا سواء عند المتناظرين أو المتلقي السامع, وذلك لما تؤديه من إيحاء إيجابيا أو سلبيا, يقول ابن الأثير " .... واعلم أن اللفظة قبل دخولها في سبل التأليف, وقبل أن تصير إلى الصورة التي تسمى كلاما دالا على المعنى من المعاني لايكون لها مزية على إخوتها في معناها, إلا أن تكون هذه أشرف من هذه بعلامات توجد فيها. " 26

ولاتكون لها هذه المزية والشرف اللذان ينادي ابن الأثير بهما الا إذا صادفت مكانها ولائمت ما قبلها وما بعدها , وكان مقتضى السياق يقبلها ويوسع دربها.

أما مستوى التركيب, فإن الجمال فيها يتوقف على موقف الكلمة مع جارتها اللاحقة فيها والسابقة لها. لأن جمالية الكلمة تبقى عديمة التأثير إذا لم توضع في تركيب يفجّر هذه الطاقات الجمالية, وهذه تتوقف على جودة السبك وحسن الصياغة والنظم,لأن تناسق الدلالات وتلاقي المعاني, وتعلق الكلام بعضه ببعض يتم وفقا لصياغة الجملة, كما نبه عن ذلك عبد القاهر الجرجاني. 27

وقد ظهر نص الرسالتين المتناظرين ملبيا حاجات الموضوع, ومراعيا مقتضى الحال والمقام, فراعا الظروف والملابسات, محاولا كل منهما استخدام جميع المتاحة الفنية أمامه لإقناع أحدهما.

استعان الكاتبي بالأسلوب القرآني (ولاتزر وازرة وزر أخرى) (من عمل صالحا فلنفسه, ومن أساء فعليها) (هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا, الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا, وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) (هذه بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) (ولاتقف ما ليس لك به علم) .28

علماً من الكاتبي بقوة تأثير أسلوب القرآني عند كل مسلم, ولعل استخدام هذا , قد يراجع المناظر الخصم نفسه, فيرجع الى الصواب والسداد, كما أكد بالأمثال والحكم والفلسفة كل ذلك اشباعا وإقحاما على المناظر الخصم ," أوضح من شمس الظهيرة" " إنا نحب الشيخ والحق ما إتفقا, فإذا ما اختلفا,كان الحق أولى" " سلمنا تسليما جدليا أن تلك الأفعال مكفرة صاحبها, فكيف يسري لغيره, وقد قال الله تعالى – ولا تزر وازرة وزر أخرى – " .29

وذلك ليكون إلزاما على الخصم ليسلم, لأنه إذا سلمت المقدمة وهي – أن الوزر لا يسري إلى غير فاعله - , ثبتت النتيجة , وهي – إن جهادكم غير شرعي .

وما غاب عن عبقرية محمد بلُو سلوك المنافس تجاه هذه القضية, فليكن الجزاء من جنس العمل , فرد الصاع بالصاع , فابتدأ بقوله تعالى (هذا بصائر من ربكم , فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها ,وما أنا عليكم بحفيظ) (ولا تقف ما ليس لك به علم) , وقول الرسول عليه الصلاة والسلام (إن للكتاب حق رد الجواب كرد السلام) (لاتجتمع أمتي على ضلالة) .30

ومن جانب آخر استخداما الإستفهام الإنكاري بالكثافة, ولعل ذلك لما له من قوة التأثير في الرد على المناظر , فلفظة (كيف) التي تأتي في القاموس البلاغي على التصور حيث يطلب بها الحال ,الا أن مقتضى الحال هنا غيُر حالتها الحقيقي إلى المجازي , والذي يقول عنه عبد القاهر الجرجاني " واعلم إنا وإن كنا نفسر الإستفهام في مثل هذا بالإنكار , فإن الذي هو محض المعنى أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب , إما أنه ادعى القدرة على فعل لايقدر عليه , فإذا ثبت على دعواه قيل له : فافعل , فيفضحه ذلك , وإما لأنه هم بأن يفعل ما لا يتصوب فعله, فإذا روجع فيه تنبه وعرف الخطأ "32

يقول الكاتمي (سلمنا تسليما جدليا إن تلك الأفعال مكفرة صاحبها, فكيف يسري لغيره ؟) . بينما يقول محمد بلُو (كيف تشهد لنا بالعلم والدين , ثم تنسب إلينا الجهل والفسوق , أحين أحببنا الملك إنتزع العلم منا والدين ؟ حتى رجعنا إلى تسويلات النفوس وتخيلاتها ,واستدللنا بظواهر لاتقوم حجة ,أم عرفنا الحق , ثم نبذناه , اتبعنا التسويلات والتخيلات بدله؟ , فإن قلت انتزع منكم العلم والدين وانعكس بكم الحال , فكيف أنت والحديث :- (إن الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه) ,أم كيف تستدل بقوله تعالى – ولا تزر وازرة وزر أخرى , وقوله – من عمل صالحا فلنفسه , ومن أساء فعليها -؟ . ثم تأخذنا بعد ذلك بشيء بلغك من بعض مجاوريكم , ولعلهم ممن لا يحسن التعبير عن حقائق الأمور .) .32

فالإستفهام الإنكاري التي تفيدها كلمة (كيف) في النصين السابقين, تفيد بعد الإنكار التوبيخ , فكأن فحوى الكلام يقول : لاينبغي أن يكون العصيان والفسوق ذريعة للإعتداء على المسلمين الأبرياء بإسم الجهاد. بينما تقول الثانية : إنك في دعواك ما ادعت إلا كمن يتخبطه الشيطان, فأصبحت لاتميز بين الفُضة – بالكسر – والفَضة – بالفتح – وبين الطِّفل – بالكسر – والطفُل –بالفتح – وأنت تسوق الآيات والأمثال وهي حجة عليك وأنت لاتدري.

وعلى العموم فإن هذا الإستفهام مع ما فيه من الإنكار, فإنه يفيد أيضا التعجب والإستبعاد والتهديد والتحكم ..

فكما ذكر العلماء شروطا تتعلق بفاتحة الرسالة , كذلك وضعوا ما يضبط خواتمها , من بينها , أن تكون الخاتمة آخر ما يبقى في النفس , " ..... فينبغي العناية بها , والإجتهاد في رشاقتها وحلاوتها وقوتها وجزالتها , لإحكام بلوغ الغاية في التأثير, ولتكون قفلا حسنا لمحاسن الرسالة أو الخطب , لأنها ربما حفظت من دون سائر الكلام لقرب العهد بها "33.

أما بالنسبة لضوابط المناظرة حسب ما قرره علماء هذا الفن , فمنها ما يتعلق بالموضوع وآخر بالمبدع . فقالوا :- - أن تكون المناظرة مناقشة الأفكار, وليست مناقشة الأشخاص.

- أن تصاغ المعاني والمراجعات صوغا لطيفا .

- إن كنت ناقلا فالصحة , وإن كنت مدعيا فالدليل .

- اهدم الباطل , وابن الحق .

- رأي صواب يحتمل الخطأ , ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب .

-أ ، لا يناظر إلا في مسألة واقعية .

- أن يكون المناظر في طلب الحق كناشد ضالة , لايفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه .

- عدم تزكيية النفس .34

جاء نص الرسالتين مراعيا هذه الضوابط والشروط المذكورة , موافقا ومخالفا في البعض, وعلى سبيل المثال قول محمد بلّو – الحمد لله فاتح أبواب الهداية ومانح أسباب السعادة .... - , فهي تضمين لمعنى الأية (إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) . ويقول ايضا (الحمد لله ذي الحجة البالغة) .35 فمثل هذه الصياغة , وهذا النقل الضمني يكون بمثابة إقامة الدليل على الخصم في سياق لطيف وقوي .

ومن زاوية أخرى حاول كل منهما تفنيد رأي صاحبه , فستعان كل منهما بجميع الأساليب المتاحة أمامه , بدء بالقرآن الكريم والسنة النبوية, وصولا إلى الأمثال والحكم , فاستخدما الأسلوب الإطنابي لأن المقام مقام الموازنة بين الأمرين المتضادين, والجدال بين شخصين مختلفين , إذ وقف أحدهما محتجا بسداد الرأي والصواب, فلا يثبت له ذلك إلا بالإستعانة بالأسلوب الإطنابي, إقناعا بالحجج .

يقول الكاني في هذا السدد " فاعلموا أن العاقل يتلقى الكلام بقبول ليفهمه, فيجيب جوابا مستقيما, فأخبرونا عن قتالكم لنا, واسترقاقكم أحرارنا, وإن قلتم : فعلنا ذلكم بكم لكفركم, فإنا برءاء من الكفر ..." ويقول في مكان آخر " ومن أعظم حججكم على تكفير عامة المؤمنين, ركوب الأمراء لبعض المواطن قصدا للصدقة, وكشف رءوس الحرائر, وأخذ الرشوة, وأكل مال اليتم , والجور في الحكم , وهذه الخمسة لاتبيح لكم هذا الفعل ... " 36

أصبح محمد بلُو متهّم أمام قضية فقهية وأخرى عقلية فلسفية, يطالب بالدفاع عن نفسه بنفس السلاح المستعمل في التهمة, فلا يبرئه الا الصحة في النقل , وإخلاص النية في الرد. فها هو مع القضية يقول " واعلم أيها الكاني أولا انا ما حاربنا الناس بما أجابوك أصلا, وإنما حاربناهم دفاعا عن أنفسنا ودينا وأهلنا, لما آذونا واستفزونا, وطلبوا منا أن نعود إلى ما لايحل لنا , ... ويا عجبا ! كيف يقال : انا نقاتل الناس لهذه الخمس, فهي تعمل عندنا الآن كثيرا, فلو عليها نقاتل ما منعنا أن نقاتل عامليها عندنا ؟ " ... سلمنا أن قائل هذا الجواب يلزمه ما عددت عليه, ألم تعلم أن لازم المذهب ليس بمذهب عند المحققين؟ " 37

وعلى العموم فإن فحوى أسلوب المدعِّي والمدعَى عليه في هذه المناظرة يتشكل في إطار الأفكار والأحداث الواقعة بين المتناظرين, مما يدل على إخلاص النية, وحب الحق كي تضع الحرب أوزارها .

الخاتمة :-

تناول الباحث في هذه الورقة قضايا حساسة في الأدب العربي النيجيري, وهي المناظرة بين الشيخين (الكانمي ومحمد بلّو) من حيث النظرية والتطبيق , وما قدمه هؤلاء العلماء من هذه المنطقة من التقدم الحضاري والثقافي لتنمية عقل الإنسان البشري , وإتاحة الفرص لذي العقول النيرة السليمة لإبداع ما وهب الله سبحانه وتعالى لهم من العلوم والمعارف .

وهذا ما أثبتته الورقة من خلال دراستها لبعض نصوص المناظرة التي جرت بين الشيخين, حسب ما جاء في كتاب إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور.

ولعل من أهم نتائج التي حصل عليها الباحث تتكون في :-

ـــ إثبات وجود هذا النوع , الذي اتخذ النثر مسلكا له, بعد أن كانت الصدارة في هذا الشأن للشعر.

ـــ إبراز ما في هذه المناظرة من الجمال الفني.

ـــ وصول الباحث الى أسباب التي أدت الى هذه المناظرة.

ـــ أدرك الباحث أن المناظرة تحتاج الى العمق والتوسع في العلوم الشرعية والأخرى اللغوية , خلاف ما في النقائض الشعرية.

ـــ ثبت لدى الباحث أن هذه المناظرة ما هي الا صدى للبيئة الأدبية التي تربى على ذوقها المناظران.

ـــ وكما يجوز أن يتقابل الشخصان وجها لوجه, يتحاوران ويتناظران, فكذلك يجوزأن يكون ذلك من خلال تبادل الرسائل أو الكتب, كما ثبت ذلك عند الجاحظ.

ـــ استخدم الشيخان الإستفهام الإنكاري بالكثافة, ولعل ذلك يرجع الى ما له من قوة التأثير في رد المناظر ليراجع موقفه.

-كذلك استعانا بالأسلوب الإطنابي الجميل, لأن المقام مقام الخصم بين أمرين متضادين, ولا يسع الإقناع الا بهذه التقنية اللغوية.

ـــ راعى الشيخان ضوابط هذا الفن, وخالفها الحظ في بعض الألفاظ والأسلوب حسب ما قرره علماء هذا الفن. ولا غرو إذ : لكل جواد كبوة, ولكل عالم هفوة. وأن الحسنات يذهبن السيئات. وأن الله لايضيع أجر المحسنين. الحمد لله أولا وأخيرا .

المراجع والهوامش :-

1 - علي أبوبكر (الدكتور) : الثقافة العربية في نيجيريا من عام 1750 – 1960, دار الأمة للطبع والنشر والتوزيع, ط 2 ,2014, ص 9 .

2 – المرجع نفسه ص 80 .

3 – www.facebook.com.posts

4 – آدم عبد الله الإلوري (الشيخ) : مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية , ط2 ,طبعت على نفقة الحاج عبد الغنى شئث, ص13 .

- علي أبوبكر (الدكتور) : مرجع سابق ص18

6 - – عثمان برايمباري : جذوز الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي, دار الأمين ,ط1 ,1421 \ 2000 , ص80 .

7 https\\www.goole.com\search?q=/dspace.univ.adrar.edu.dz.handle

8 - علي أبوبكر (الدكتور) : مرجع سابق ص 43 .

9 - آدم عبد الله الإلوري (الشيخ) : الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ص 63 .

10 -علي أبوبكر (الدكتور) : مرجع سابق ص 11

11- علي أبوبكر (الدكتور) : مرجع سابق ص116

12- علي أبوبكر (الدكتور) : مرجع سابق ص117

13 - https\\www.goole.com\search?q=/dspace.univ.adrar.edu.dz.handle

14 - الجرجاني, على بن محمد بن على : كتاب التعريفات , دار الكتاب العربي, ط4 ,1418 \ 1998 ,ص298 .

15 - المعجم الوسيط , مكتبة الشروق الدولية, ط 6 , 1431\ 2010 , ص 971

16 – عمر سليم : آداب المناظرة , شبكة الألوكة. ومنير القاضي :مناظرات القرآن الكريم ومحاورته, مجلة المجتمع العلمي العراقي, المجلد8 ,1380\1961 ,ص3 .

17 – عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون , المحقق عبد الله محمد الدرويش, ط1, 2004 , ص428 .

18 – أمير المؤمنين محمد بلُو بن عثمان بن فودي : إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور, 1383 \ 1974 , ب د بيانات النشر, ص 157

19 – ضياء الدين ابن الأثير : الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور, تحقيق د: مصطفى جواد, المجمع العلمي العراقي, ص187 .

20 – المرجع نفسه ص118 .

21 – لعل الصواب يكون (السمحة)

22 – أمير المؤمنين محمد بلو : انفاق الميسور, مرجع سابق ص157 .

23 – المرجع نفسه ص 160 .

24 – عرفة حلبي عباس : نقد النثر : النظرية والتطبيق , قراءة في نتاج ابن الأثير النقدي وابداعي مع وصلة بالدرس الأدبي الحديث, مكتبة الآداب القاهرة, ط1, 1420\ 2009, ص 98 . ومحمد عبد الملك الزغبي : أصول المناظرات, وروائع المناظرات , دار التقوى, ط1 , 1432\ 2011 ,ص28 .

25 – ضياء الدين بن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والناثر, ص22 .

26 – عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز , مطبعة المدني القاهرة, ط2 ,1413هـ\ 1992 , ص18 .

27 - أمير المؤمنين محمد بلُو بن عثمان بن فودي : إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور, 1383 \ 1974 , ب د بيانات النشر, ص158

28 – المرجع نفسه ص.159

29 – المرجع نفسه ص.160

30 - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز , مطبعة المدني القاهرة, ط2 ,1413هـ\ 1992 , ص151 .

31 – أمير المؤمنين محمد بلُو بن عثمان بن فودي : إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور, 1383 \ 1974 , ب د بيانات النشر, ص160.

32 – العسكر , أبو هلال الحسن بن عبد الله : كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر , دار احياء الكتب العربية, ط1 ,1952م , ص455 .

33 – سايمون كوين (الدكتور) : المرشد في فن المناظرة , نموذج بطولة العالم المناظرات المدارس, ترجمة وتنقيح : عبد الجبار السرفي , 2009م ص7 .

وراجع أيضا :-

-عثمان على : منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الإعتقاد .

-ابن سعدي : المناظرات الفقهية .

-أمين الشنقيطي :آداب البحث والمناظرة .

-مناظرات ابن تيمية لأهل الملل والنحل , جمع وتعليق : د : عبد العزيز.

-حنبكة الميداني : ضوابط المعرفة وأصول الإستدلال والمناظرة .

34 - أمير المؤمنين محمد بلُو بن عثمان بن فودي : إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور, 1383 \ 1974 , ب د بيانات النشر, ص159.

35 – المرجع نفسه.ص159

36 – تامرجه نفسه.ص159

37 – المرجع نفسه .ص1160